

«فندق إمبريال»... بين عملية

مديريه واستدعاء الجيش الأحمر

- عامر نجيم الياس***

عقد الاجتماع الدولي حول سورية في العاصمة النمسوية فيينا في «فندق الإمبريالية». مصطلحٌ لطالما أرخى بظله السئى على السوريين الذين أدركوا وهم في مدارسهم، حجم صراع على وطنهم الذي يشكّل مركز الكون. والإمبريالية التعريف «سياسة توسيع السيطرة أو السلطة على الوجود الخارجي بما يعني اكتساب وصيانة الإمبراطوريات. وتكون هذه السيطرة بوجود مناطق داخل تلك الدول أو بالسيطرة عن طريق السياسة أو الاقتصاد». عند هذه النقطة الأخيرة لا يشترط في الإمبريالية الوجود على الأرض والغزو. لينين، قائد الثورة البلشفية، رأى في الإمبريالية وجوداً أزيلاً مرتبطاً برأس المال إذ قال «إن وجود الامبريالية مترابط مع الرأسمالية لأنها تستخدم الدول على أنها أسواق جديدة أو مصادر لمواد أولية».

في ظلال فيينا وفي مشهد الدول المجتمعة والسعي إلى عالم متعدد الأقطاب، نواجه دولا رأسمالية من حيث العقيدة لا تملك مكانا في الصراع بينها، وحلم الشيوعية والعدالة في مواجهة الرأسمالية قد غاب بسقوط الاتحاد السوفياتي، وباتت الإمبريالية جزءا عسويا من صوغ نظام دولي جديد وستبقى ما بقيت الحياة على هذا الكوكب. بينما تكافح الدول الصغيرة والإقليمية لجعل مقدار السيطرة على قراراتها ووجودها بعد ما تستطيع عن تغلغل هذه الإمبريالية في كافة مفاصل الدولة. في فيينا نحن أمام محاولة إعادة صوغ النفوذ الدولي في عالم متدد الأقطاب بات يفرض نفسه على تفرد الولايات المتحدة بالقرار الدولي منذ سبعينات القرن الماضي، ونحن في مواجهة إعادة صوغ النظام الإقليمي في الشرق الأوسط استنادا إلى نتائج الحرب في سورية وعليها، تلك الحرب التي دفعت موسكو وبكين لاستخدام الفيتو المزدوج أربع مرات متتالية، واستمرت لتدفع الكرملين إلى اتخاذ قرار التدخل الأول خارج حدوده بعد أكثر من عقدين على انسحابه من أفغانستان.

في سياق هذا الاجتماع، نجد أنفسنا في مواجهة تناقضات الحالة السورية التي قسّمت العالم إلى مسكرين، كما نجد أنفسنا معلقين بين احتمالات الحرب والسلام التي تتوازن في حظوظها وتفرض نفسها على المشهد بشكل كامل بحيث يصبح الاعتماد على الميدان العامل الأكثر أهمية في صوغ الاتفاق النهائي حول سورية، وفي تحديد الجدول الزمني للعملية التفاوضية التي انطلقت في العاصمة النمسوية وبالتالي رسم خريطة المنطقه وخريطة النفوذ العالمي. لا يمكن أن ننظر للسياسة بغض النظر عن التاريخ، ولا يمكن لهذا العقل الذي يدير اللعبة السياسية الكونية أن يعتمد على الصدفة في إدارة اللعبة الدولية، هنا وإضافة إلى مكان انعقاد المؤتمر في Imperial hotel، فإن تاريخ 30 تشرين الأول خصوصية ساهمت على الدوام في تحديد وجه سورية وطبيعة علاقاتها خلال السنوات التي تلت هذا اليوم في التاريخ السوري، حتى أن التاريخ يعيد نفسه في ذات تفاصيل المشهد أي عملية السلام واستدعاء التدخل الروسي لحماية البلاد من محاولات الإطاحة والتدمير التي يقومها روسيا، ففي 30 تشرين الأول من عام 1956 وبعد ساعات من بدء العدوان الثلاثي (الصهيوني البريطاني الفرنسي) على مصر، زار الرئيس السوري شكري القوتلي، رحمه الله، موسكو وطالب علناً «بتدخل الجيش الأحمر لحماية مصر والعرب من إسرائيل». وفي عام 1991 وفي الثلاثين من تشرين الأول عقد اجتماع مدريد الشيعير والذي يعرف بعملية السلام برعاية من الاتحاد السوفياتي حينها والولايات المتحدة الأميركية ووجود وفدين تفاوضيين سوري ومصهويين. هذا الاجتماع الذي دشّن بداية مرحلة جديدة في العلاقات السورية الدولية، خصوصا مع الولايات المتحدة، والإقليمية عبر الثلاثي السوري .المصري .السعودي حينذاك، فضلا عن صوغ الدور السوري الأوسع إقليمياً منذ نشأة الجمهورية السورية.

الرهان على فيينا كبير، لكنه لا يخرج عن إطار ضمان وجود الجيش الروسي، والتأسيس لمرحلة جديدة من تاريخ سورية تعترف بدولتها ودورها في صوغ المعادلات الإقليمية وقياس مقدار نفوذ الدول العظمى في الشرق الأوسط.

***** **كاتب ومترجم سوري**

التحرير

قوات أميركية خاصة لسورية.. لماذا الآن؟

تناول صحف أميركية وبريطانية عدّة قرار الرئيس الأميركي باراك أوباما إرسال قوات خاصة إلى سورية، وتحدثت عن أهميته وما يعنيه في هذا الوقت بالذات.

وقبل أن نخلق على القرار، أوردت جميع هذه الصحف عن السكرتير الصحافي للبيت الأبيض جوش إرنست توضيحه أن عدد هذه القوات لا يزيد على خمسين، وأنها ستعمل إلى سورية بدءاً من الشهر المقبل واستناد «قوات المقاومة السورية» التي تحارب تنظيم «داعش» في شمال البلاد، وذكر بعضها بالإسم كودحات حماية الشعب الكردي، في تحطيط العمليات العسكرية، لكنها لن تخترط في قتال مباشر.

وقالت «واشنطن بوست» الأميركية إن إرسال هذه القوات إلى سورية يؤرّخ للنشر الأول لقوات أميركية في هذا البلد، كما يعبر عن نقلة كبيرة في سياسة أوباما الذي خفف من إصراره على هزيمة تنظيم «داعش»، وقلقة من تورط القوات الأميركية في وحل الصراع السوري.

وأضافت أن القرار يعبر عن عدم رضا أوباما المتزايد من توقف التقدم في العراق وسورية، وإحساس قاداته العسكريين بأن تنظيم «داعش» يعاني من نقاط ضعف يمكن استغلالها.

ولفت عدد من الصحف إلى أن هذا القرار يجيء عقب التدخل الروسي في سورية ويتزامن مع افتتاح مؤتمر فيينا للسلام السوري. وقالت «واشنطن بوست» إن العمليات العسكرية الروسية لمصلحة الرئيس السوري بشار الأسد عقدت الجهود الأميركية لمساعدة «المعارضة السورية المسلحة»، في شمال البلاد، والتي تخشى واشنطن أن يتعد اهتمامها عن محاربة تنظيم «داعش» إلى مساعدة حلفائها الذين يحاربون الأسد ويواجهون ضغطاً من جرّاء التدخل الروسي.

وأوردت هذه الصحف تعليقات بعض السياسيين ونواب الكونغرس والخبراء على القرار، مثل السيناتور جون ماكين الذي وصفه بأنه خطوة غير كافية في سياسة التصعيد المقترح لإدارة أوباما.

وقالت «ديلي تلغراف»، البريطانية إن القوات الخاصة الأميركية سبق أن نفذت غارات في سورية، لكن هذه ستكون المرّة الأولى التي ستقيم فيها هذه القوات على الأرض السورية، ووصفت القرار بأنه تغير كبير في التوجه بالنسبة إلى أوباما.

ونقلت «ديلي تلغراف» عن رئيس لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الجمهوري ماك فونينيري، قوله إن هذه الخطوة متاخرة جداً وليست استراتيجية للنجاح، إنها مجرد محاولة من أوباما لتفادي كارثة في وقت سعي فيه إلى كسب الوقت.

ونسبت «دندبندنت» البريطانية إلى المحلل العسكري جون بايك القول إن إرسال هذه المجموعة الصغيرة لن يتينحها إرسال آلاف الجنود، وإن الولايات المتحدة لا خيار لديها إلا محاربة تنظيم «داعش»، «إن لم تخاربه في دياره، فسيتاتي ليحاربنا في ديارنا، إنهم أخطر كثيراً من تنظيم القاعدة».

ورث «كريستيان ساينس مونيتور» الأميركية أن الوضع في سورية تغير ولذلك قرر أوباما إشراك إيران في محادثات سلام سورية وإرسال قوات خاصة لدعم الكراد السوريين. وقالت إن واقعية أوباما تشهد أقوى حصة لهذا الأسلوب على الجانبين السياسي والعسكري.

البناء

محادثات فيينا... موسكو بتقدّمها توجه واشنطن بتراجعها

سيزنغر

تبقى له أكثر قليلاً من سنة واحدة في الرئاسة. سيزنغر إلى مؤتمر فيينا الحالي كأفضل الفرص للعمل من أجل اتفاق سلام في سورية التي أضعف الصراع فيها فترة إدارته أكثر من أي قضية أخرى.

إلى ذلك، خرج أمين عام الأمم المتحدة بان كي مون عن صمته طوال أربع سنوات ونيف أيام الأمسي في سورية، وإذا عبّر في وقت معيّن، فإنه عبّر فقط عن قلقه. إذ طالماً بان كي مون في حديث نشرته أربع صفح إسبانية، ليجرّ عن استيائه من أن تكون عملية التفاوض السياسي حول الأزمة السورية «رهينة بمصير الرئيس السوري بشار الأسد».

أما صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية، فطالبت بعدم تقارب الاتحاد الأوروبي مع نظام اردوغان، بالإشارة إلى إمكانية فوزه في الانتخابات الأخيرة.

تناولت صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية في عددها الصادر السبت الماضي، التعليق على الانتخابات البرلمانية التركية التي أجريت أمس

سيزنغر

تنتطلب 276 مقعداً، ما حول دون تشكيله الحكومة. فيما رفضت الأحزاب الأخرى تشكيل حكومة ائتلافية. وتظهر استطلاعات رأى حذيفة أن حزب العدالة والتنمية لا يزال بعيداً عن اقتناص المقاعد التي قفدها.

وفي حال تكرار نتائج التصويت السابق، فإنه هذا من شأنه أن يضع ضغوطاً على اردوغان ليقدم الدعم لعمدة ائتلافية وتجنب انتخابات خاصة أخرى من شأنها أن تجبر الناخب على العودة إلى الاقتراع مجدداً. ذلك على رغم اعتراف مسؤولين ترك ان الذهاب إلى تصويت ثالث، خلال هذه الفترة القصيرة، من شأنه أن يطيل أمد حالة الشلل السياسي في البلاد.

وتحذّر الصحيفة أن نتائج الانتخابات بعيد أثرها بعيداً، إذ يعول قادة العالم على تركيا للعب دور أكبر في القاتل ضد تنظيم «داعش» الذي تسبب في أسوأ أزمة لجئين أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية. كما سيكون لها تبعات طويلة المدى لتركيا، التي تواجه إجراءات اقتصادية عميقة وقلقا متزايدا في شأن التهديدات التي يشكّنها المسلحون.

the guardian

«غارديان»: ليس من مصلحة أوروبا خسارة ميركل منصبها بسبب قضية اللاجئين

علّقت صحيفة «غارديان» البريطانية على لقاء المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل مع زعماء الائتلاف الحاكم لتسوية الخلافات حول السياسة المتعلقة بأزمة اللاجئين. وأضافت الصحيفة أن نتائج الانتخابات بعيد أثرها بعيداً، إذ يعول قادة العالم على تركيا للعب دور أكبر في القاتل ضد تنظيم «داعش» الذي تسبب في أسوأ أزمة لجئين أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية. كما سيكون لها تبعات طويلة المدى لتركيا، التي تواجه إجراءات اقتصادية عميقة وقلقا متزايدا في شأن التهديدات التي يشكّنها المسلحون.

سيزنغر

واستقبلت الصحيفة تعليقا قائلة: «عندما يحكم سياسي بدأ ما منذ عشر سنوات حال الحال مع المستشارة ميركل، فحتمًا سيظهر السؤال وماذا بعد».

وتابعت الصحيفة أن المشكلة لامرلك لتتمثل في التعامل المسيحي البافاري شريكها في التحالف المسيحي وزعيم الحزب البافاري هورست زيهوفر الذي يتبنى موقفا صارما في مواجهة الهجرة، ويهدد بفكرة الخروج من الائتلاف الحكومي. وأضافت الصحيفة أن بافاريا تتب عن خط المواجهة مع الهجره، لكن الولاية لديها بالتاكيد الوسائل الخاصة بالتغلب على تدفق المهاجرين.

يشار إلى أن الحزب البافاري يشكّل مع حزب ميركل المسيحي الديمقراطي ما يعرف بالتحالف المسيحي الديمقراطي الشريك الأكبر في الائتلاف الحاكم والذي يضم كذلك الحزب الاشتراكي الديمقراطي.

وذكرت الصحيفة أن الحزبين الشريكين في التحالف المسيحي حوالا في برلين تتجاوز خلافاتهما، ويجب أن يتبحّحا في ذلك، وختمت التعليق بالقول: «على رغم أنه لا يوجد رئيس حكومة لا بدليل له، إلا أنه ليس من مصلحة ألمانيا ولا مصلحة أوروبا أن تخسر ميركل منصبها كاستشارة بسبب قضية اللاجئين».

Le Monde

سيزنغر

«لوموند»: «داعش» يستعمل صوراً فنية لدعاية

نشرت صحيفة «لوموند» الفرنسية، تقريراَ حول تطوير تنظيم «داعش» لمنظومته الدعائية، من نشر تسجيلات الفيديو المروعة، إلى استعمال صور فوتوغرافية تعود لفنانين معروفين، للتلطّيف في الرأي العام.

وقالت الصحيفة إن تنظيم «داعش» لم يكف بنشر صور الخاصة به حول الحرب التي يخوضها في سورية والعراق، والفتاوات التي يتركبها في حق أسراه، من أجل تغذية دعاتبه واستقطاب الأتصار، إنما أصبح يستفيد من المواد الفنية المعروضة على الأنترنت، لخدمة أغراضه الدعائية.

وأضافت أن التنظيم قام مؤخراَ باستغلال صورة تعود للفنان الأميركي براين مكارثي، الذي عُرف على إثر إنتاجه مشروع «لعب الحرب»، الذي يعرض فيه شخصيات من عرق الأطفال في وضعيات صراع مسلح، ويهدف إلى إعادة رسم المشاهد التي تلقها له الأطفال الذين فروا من بؤر التوتر في العالم.

ويبيّن أن الصورة التي قام تنظيم «داعش» باقتباسها، تظهر فيها الفتاة «سنديلا» في قلب الصحراء، تحت وابل من القنائف، مشيرة إلى أن هذه الصورة مستوحاة من رسم أنجزته فتاة صغيرة تعيش في قطاع غزة، خلال العدوان «الإسرائيلي» على القطاع في عام 2012، وقد حظيت الصورة باهتمام واسع على مواقع التواصل الاجتماعي. ولكن في النسخة المعدلة من هذه الصورة، التي أصدرها تنظيم «داعش»، اختفت الأميرة «سنديلا»، وحلت محلها شعارات دينية، وكتب فوقها: «دولة الخلافة الإسلامية تحت القصف الصليبي».

ونقلت صحيفة «ديلي تلغراف» قولها: «لقد شعرت بحماسة كبيرة، عندما شاهدت عملي مشؤها بتلك الطريقة».

وأشارت إلى أن مكارثي علم بحادثة السرقة الفنية من وكالة «بيكسي»، المتخصصة في حماية حقوق الفنانين والمؤلفين على الأنترنت، ولكن لاوكالة ولا الفنان ينوون التقدم بشكوى قضائية في الوقت الحالي.

ونقلت عن وكالة «بيكسي» قولها إن سرقة الصورة تعدّ أمراً ضئيلاً جداً مقارنةً بباقي جرائم التنظيم، ولهذا، فإن أي تحرك قضائي سيكون تحركاً رمزياً لا غير، ولن يؤثر على مجرى الأمور، إذ إن ثروة تنظيم «داعش» قامت أساسا على عدة أنواع من السرقات، مثل سرقة الآثار والتبرول وطلب الغديات، على حدّ تعبيرها.

وقال مكارثي للمصحفة: «هذا التزييف الذي ارتكبه تنظيم داعش في حق صورتي؛ يعدّ دلوام لوباليل عليه، لأن من أتخذ التصويرات على الصورة شبه التنظيم بلعبي، لم يولد بل يكن أمتلعا بريطانيا تحسبا إلى أعمال الرعاية أو جرائم، وكنت ضحكت كثيرا». وفي الختام: نقلت صحيفة «لوموند» دعوة هذا الفنان الأميركي للإحاطة بالأطفال المتضررين من الحروب في فلسطين ولبنان وسورية، ودعم منظمات الإغاثة التي تقدّم لهم يد المساعدة.

Telegraph

«تلغراف»: السماح لسلطات الأمن ببريطانيا بمراقبة تاريخ تصفح مستخدمي الإنترنت

نشرت صحيفة «تلغراف» البريطانية خبراً يفيد حصول سلطات الأمن البريطانية على ما يحوّلهم مراقبة تاريخ التصفح المستخدمي الإنترنت داخل كل مدن المملكة المتحدة وذلك بموافقة وزيرة الداخلية الإنكليزية تريسا ماي التي سنطرح الأمر على مجلس العموم البريطاني.

وقالت «تلغراف» إن الوزيرة سنطرح الأمر على مجلس العموم البريطاني أثناء تقديمها مقترح قانون المراقبة الجديد الذي ستصبح بمقتضاه شركات الاتصالات مجبرة على مد أجهزة الأمن بتاريخ تصفح الزبائن خلال 12 شهراً، لتتعرف أجهزة الأمن على المواقع التي يزورها مستخدمو الإنترنت، وذلك في حال تعقبهم لمشتبهِه في قيامه بأعمال إرهابية.

وكانت ماي قد طالبت مجلس العموم بتوفير السلطة لها لمراقبة تاريخ تصفح كل مستخدم للإنترنت داخل بريطانيا تحسبا إلى أعمال الرعاية أو جرائم، وكانت قد صرحت بأن القرار لا يستهدف فقط الإرهابيين، بل يستهدف من يحاول التجسس على بريطانيا، ومن يستغل الأطفال جنسيا من خلال العالم الافتراضي، لافتة إلى أن سلطات الأمن ستحتاج إلى إذن قضائي للدخول إلى المواقع بعد مراقبة تاريخ تصفح أي مستخدم للإنترنت، للتعرفَ على تفاصيل المواقع التي زارها خلال تواجده في عالم الإنترنت، وكان مجلس العموم البريطاني قد أخطط مثل تلك المطالب عام 2013 بأن يتضمنه قانون من غزو لحرية المواطنين الشخصية، لكن أجهزة الأمن والاستخبارات جذدت مطالبتها، مشيرة إلى أن تلك الخدمة ستجعلهم قادرين على إيقاف أي تهديد لأمن بريطانيا القومي.

ترجمات

11

11

سيزنغر

الأحد. واستهلّت الصحيفة تعليقاها بالقول: «إن هذا المستبد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، سيسرسل الأتراك الأحد إلى صناديق الاقتراع حتى يحصل على ما كانوا قد حرموه منه قبل أربعة أشهر، أي الغالبية المطلقة التي تمكّنه من تغيير الدستور وإقامة نظام رئاسي، وبلا فسكون البلاد مهددة بخطر الوقوع في أزمة سياسية».

وتابعت الصحيفة تعليقاها قائلة إن أوروبا تحتاج إلى هذا الرئيس حتى تحجم من تدفق اللاجئين إليها، لكنها تحثّرق أردوغان للكبير الذي يستغل الأوروبيين بالمطالبة بتسهيلات في التأشيرة وتسريع مفاوضات الانضمام للاتحاد الأوروبي.

وختمت الصحيفة تعليقاها: لا ينبغي أن نغ في هذا الشرك الكبير، فبالتركيد علينا أن نساعد تركيا حتى تساعدنا في أزمة اللاجئين، لكننا في الوقت نفسه ينبغي ألا نتقارب مع نظام حكم بعيد عنا بصورة واضحة. فيما ذهبت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية إلى القول إن تركيا تخوض انتخابات مبكرة وسط مخاوف من جمود سياسي.

صحافة عبرية

سيزنغر

ترجمة: غسان محمد

اتركوا أبا مازن لنفسه

كتب جاكى حوجي له «معاريف» العبرية:
من الوفيقة، برز زعيم منكم ووليء بحبيبات الأمل. عندما أعلن أمام الكاميرات أن النصر قريب، كان بوسعك أن ترى كيف يتعبّر وجهه عن الشك بما يقوله شفقا.

كان هذا قبل أسبوعين، وأبو مازن خرج إلى الجمهور للمرة الأولى منذ اندلعت موجة الساكنين وقال كلمته. وفي «إسرائيل» سينذركون الخطاب بفضل الصورة الكري. صورة الطفل ابن الـ 13 من بيت حنينا، يرتحف وينزف على الأرض بعدما شارك في عملية طعن في «بساتن زيفي». وقد عرضها أبو مازن أمام الكاميرا وأدعى أن الطفل آدم على أيدي «الإسرائيليين»، من دون أن يذكر حتى بكلمة هدف وصوله إلى هناك. الطفل، «أ» أصيب بجراح متوسطة، نقل إلى مستشفى في «إسرائيل» وشفي. وهذا الأسبوع صعد مرة أخرى إلى العناوين الرئيسية. هذه المرة في قاعة المحكمة، ليبدى في كل صوب.

ولكن الخطاب الذي بثّ جدير بان يذكر لأسباب أخرى. إلى الكاميرا نظر لبنا زعيم منكم، في أواخر حياته السياسية، يعرف ان مهمته العليا فشلت. رئيس أن يكون هنا في المستقبل المنظور، وسعيه لأن يحقق لشعبه وليس مستقلة وعاصمتها شرق القدس لن تقوم في ولبنته، ومشكوك أن تقوم في حياته. شخص في بداية العقد التاسع من حياته، تصمّمت روحه السياسية في سنوات الثورة العاصفة للعرص السوفياتي، والآن يتبق بصعوبة طريقة في العالم الرقي. هجره الشباب في صالح العمليات الانتحارية، وعندما جاء ليعيدهم إلى الديار، أخذوا بهزأون به ويعدّون أنه لا يعطّلمهم. زعيم ركل من الجرار القاضية «إسرائيل»، والتي ترى فيه شريكا فقط عندما يتعلق الأمر باحتياجاتها الأمنية. تبين له أن مصر التي في الماضي رأت فيه عبئا على العدل، تعتبره اليوم لوججاً وتنتظر لحظة اعتزاله. ولم يجعب يبحث علّا مساواة لدى الأميركيين، ولكنه يجدهم المرة تلو الأخرى مشوشين في البحث عن مخرج من الورطة، ذاك المخرج الذين هم أنفسهم لا يعرفون حقا ما هو.

هجمة القتل التي تعهد بها منذ شهر ليست ـ خلافاً للانتفاضة الثانية ـ مواجهة دموية بين دولة «إسرائيل» وجيشها وبين السلطة الفلسطينية، بل هجمة الشارح الفلسطيني على الشارع «الإسرائيلي». في صراع القوى هذا مكان السلطة في جانب «إسرائيل». كلتاها تتعاونان معا ضد الشباب الفلسطيني في محاولة لقمعه. ليست محبة صهيون هي التي تحركّ أبنا مازن وقادة جهازه الأمني، بل تصويت عدم الثقة به من جانب الجيل الشاب. ففي خروجهم إلى عمليات القتل يقولون له ـ فشلت يا رئيس، حرصت على أن تكون لطيفا مع «الإسرائيليين»، وتركتنا وحدنا في المعركة.

هذه الأزمة ليست فقط واحدة من لحظات الدرك الأسفل في العلاقات المتلوية بين «إسرائيل» والفلسطينيين، لا بل أيضا المفترق الذي يؤشر إلى نهاية عصر محمود عباس. حتى لو استغرق هذا سنة، وربما أكثر، الرئيس الفلسطيني، ابن 80 استنفد قدراته وصعد إلى مسار الاعتزال. التطور الوحيد الذي يمكن أن يعيده إلى موقف الزعامة هو اختراق حقيقي في المسيرة السلمية. واحتمال مثل هذه الخطوة قليل جدا في ولاية الحكومة الحالية في القدس، بينما تحوم عاصفة في المحيط. احترامه محظوظ لدى الفلسطينيين وزعماء العالم. وهو سينكر كازيم الفلسطيني الذي نال العطف الأكبر لدى الأسرة الدولية. الرجل الذي أخرجهم من الخراب إلى الاستقرار، الذي لم يكف عن الترويج للفتح عبر التعريف حتى في اللحظات الاخر صعبة مع «إسرائيل».

ولكن أبنا مازن سينكر أيضا كمن عمل بكل جهده، على مدى أكثر من عقد، على تحقيق حل دائم وعلى المس بالمشروع الاستيطاني ـ ولم يقترّب حتى إلى هوامش عبء هذا الهدف.

إحدى أوراق الموقف الأكثر تشويقاَ عن آخر ما يتعلق بمكآنة أبي مازن كتبها البروفسور مناحيم كلاين من جامعة «بار ايلان». ففي مقالين نشرهما مؤخرًا الواحد تلو الآخر يقول كلاين إن أبنا مازن فقد المجتمع الفلسطيني حتى قبل عمليات القتل. ويعتقد كلاين أنّ في زمنه ليس فقط لم يتقدم المجتمع الفلسطيني إلى الامام، لا بل تراجع إلى الوراء.

الباحث «الإسرائيلي»، من متصدري مبادرة جنيف، وجد أنه في عصر سلفه، ياسر عرفات، تمتع المواطن الفلسطيني بظواهر أوسع من الديمقراطية وحريات الفرد. ومذّ انتخب أبو مازن لمنصبه قبل 11 سنة، لم تجز مرة أخرى انتخابات للرئاسة، تجمدت الحياة البرلمانية وتخوض السلطة حملات مطاردة للمعارضين. وبغياب السلطة التشريعية، وضع مكتب الرئيس في رام الله نفسه كمنكر للقوانين. لم ينتج أبو مازن في أي حينند لمصلحة المجتمع «الإسرائيلي» في ممارس الضغط على حكومات اليمين. ولم يقدّر غرة فقط في مصلحة حماس، لا بل في عهده فتحت هوة من الشك بينه وبين قادتها.

يصف الباحث «الإسرائيلي» أبنا مازن زعيم قائم، يخلق على نفسه في غرقته ولكنه يكثر من الرحلات إلى الخارج. بعيدا عن المشاكل. وهو ليس قادرا على سياسيا في طبيعته، كما يقول البروفسور كلاين، ويشكك في قدرته على أن يكون شريكا بالنسبة إلى «إسرائيل». إن المحاولة «الإسرائيلية» في الأسابيع الأخيرة لعرض هذا الزعيم ورجاله كمنسدين لوجهة الساكنين الحالية تصرف البحث عن الأمر الإساس. فواقع الحروب في المناطق، لا سيما في شرق القدس، أقوى من كل دعوة للعمليات، مهما كانت فضيحة. وباتهام التحريض باله العمل الإساس وراء العنف، تتجاهل «إسرائيل» مساهمتها في الإحباط الفلسطيني.

ملبونا فلسطينيَ ونصف المليون ممن يعيشون في القدس وفي الضفة هم سكان مقفون، حبيسون في علية، لا يرون أملا لحياتهم. ليضطرب لهذه الأسباب. فمن أجل إعادة الساكنين إلى مكانها الطبيعي الأب فيه عاطل عن العمل، مدرسة تؤدّي دورها بصعوبة وفي الشارع ينتظرهم حارس حدود مع سلاح وقد ينتج الاهانات الأقصى في خطر؟ من يهيم، عندما لا يكون في البيت طعام، والغد ليس مضمونا.

ليس صدفة أن سميت موجة العنف الحالية «انتفاضة القدس»، على رغم المساعي من جانب قادة حماس لإبراج المسجد المقدس في كل بحث فيها. هذه ليست مواجهة دينية، إنما قبل كل شيء انفجار جذوره اجتماعية.

تصرّيات رئيس الوزراء نتينياهو هذا الأسبوع، وبموجبه «إسرائيل» ستعشش على حرابها إلى الابد جات في توقيت بائس بالضبط لهذه الأسباب. فمن أجل إعادة الساكنين إلى مكانها الطبيعي في جاورو الطبيع، تحتاج الجماهير الفلسطينية إلى بارقة أمل في أنه خلف الزاوية ينتظرهم مستقبل أفضل. وفي أزمته، عبّر نتينياهو بهذه الكلمات عن الإحباط لا عن النوايا. ولكن في الجانب الفلسطيني سعوا هذه الأرواب وترجموها إلى خلة طويلة المدى، فإذا كان اليهود سيضعوننا الأرواب إلى الابد، سيؤول لنفسه الشاب الفلسطيني: ماذا تبقى لنا إن لم نساعد العالم المداة.

خير ما تفعله «إسرائيل» في هذه المرحلة أن تترك أبنا مازن لنفسه بدلا من أن تفتس إحباطها عليه وتبدء في الاستعداد لليوم التالي له. فتصوغ لنفسها أوراق جارو، تفتقد تقديرات اجتماعية واستخبارية، وتستعد لسبائرويات محتملة في الساحة الفلسطينية.